بسم الله الرحمن الرحيم

طبع هذا الكتاب بإشراف المجلس العلمي بجامعة الملك سعود ، وراجعه كل من :

الدكتور / خالد بن عبد الله القاسم – عضو هيئة التدريس بقسم الثقافة الإسلامية – كلية التربية بجامعة الملك سعود.
الدكتور / صالح بن محمد الخـثلان – عضو هيئة التدريس بقسم العلوم السياسية – كلية الأنظمة والعلوم السياسية بجامعة الملك سعود.

دققه وراجعه لغوياً الدكتور / مبروك بهيج الدين رمضان – أستاذ اللغة العربية بكلية الشريعة بالرياض سابقاً.

مقدمـــة الترجمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الطيبين وبعد،

الترجمة تحد. ويزداد التحدي حدة إذا ترافق مع قصر الزمن. فحين كلفت بإنجاز ترجمة "الثروة واقتصاد المعرفة" في مدة محدودة أيقنت أنني مقبل على عمل كبير وتجربة فريدة لم أواجه مثلها من قبل. فقد وجدت كتابا فريدا بمحتواه، غريبا في أسلوبه، غنيا بأفكاره. إنه كتاب يمثل القرن الحادي والعشرين بكل تناقضاته وسلبياته وإيجابياته. فهو تعبير صادق عن روح العصر – عن الموجة الثالثة كما يسميها المؤلفان – التي أعلنت بزوغ فجر المعرفة التقنية، وأفول نجم العصر الصناعي الذي حكم أوروبا وأمريكا الشمالية قرابة مائتي عام.

إن لكل مؤلف أسلوبه المتميز، لكن من يقرأ الكتاب الأصل لا يملك إلا أن يعجب بأسلوب مؤلفيه. فهو ليس كغيره من الكتب. إنه أشبه بمقالة صحفية ضخمة، ملئت بالشواهد، ومقولات الخبراء والعلماء التي تدعم كل فكرة من أفكاره. بل هو أقرب إلى محاضرة علمية يلقيها خبير متمرس على جمهور يستمع إليه ويشاهد عرضا للشرائح المصورة على الشاشة. فالكتاب يتحدث إلى القارئ بأسلوب جذاب، ويعرض قضاياه كافة من مختلف جوانبها السلبية والإيجابية بطريقة علمية متميزة.

ومن الواضح أن المؤلفين متمرسان في اللغة الإنجليزية، ولهما خبرة واسعة في الاشتقاقات المعجمية – الصرفية، فتراهما يستعملان كلمات جديدة لا وجود لها حتى في القواميس الاختصاصية، مثل كلمة Prosumer و Fabbing وde-territorialized وغيرها. فلما بحثت عن كلمة Prosumer ووجدت أنها منحوتة من كلمتي Producer و Consumer أعياني العثور على ما يقابلها في العربية، لم أجد مفرا من نحت كلمة جديدة وهي "*منتهلك*" وأقصد بها (المنتج – المستهلك) لتقابل Prosumer الإنجليزية. ومنها نشتق الفعل "أنتهلك" (أي أنتج واستهلك)، و"الإنتهلاك" (أي الإنتاج والاستهلاك) وهكذا. فإذا وجد القارئ في هذا الاشتقاق جرأة على اللغة العربية، فأرجو أن يجد لي بعض العذر في ذلك، ففي اعتقادي أن العربية لا تبخل علينا بهكذا اشتقاق عند الضرورة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن لدى المؤلفين ولعا شديدا بالتهكم، والسخرية، والتورية والتشبيه، والاستعارة، والجناس اللفظي، *والمحسنات البديعية* الأخرى إن جاز لنا التعبير، على نحو يلفت النظر. فمن العسير على قارئ النص الأصل أن يدرك المقصود بعنوان أي فصل من الفصول تقريبا – رئيسا كان أم فرعا – قبل قراءة الفصل من أوله إلى آخره. فدلالة الألفاظ متوارية، غامضة، وعلى الأقل غير مألوفة. ولا شك في أن القارئ سيلمس أثر هذا في الترجمة العربية أيضا.

أما عن علامات الترقيم فحدث ولا حرج! لقد وجدت فيها غرابة لم أرها في أي كتاب آخر. وربما كان السبب طريقة الخطاب المباشر. فحتى توزيع الفقرات غير مألوف، فتارة تجد فقرة من شبه جملة، وتارة أخرى من جملة واحدة، أو جملة واحدة في فقرتين متتاليتين، وهكذا.

هذا عن الشكل، أما المحتوى، فالكتاب بالغ الأهمية والحساسية لأنه يطرح

موضوعات تمس العالم كله، لاسيما دول الشرق الأوسط والمملكة العربية السعودية تحديدا. صحيح أنه يركز أساسا على الولايات المتحدة، لكنه يضع معالجته لما يجري في تلك القوة العظمى في إطار عالمي على اعتبار أن الولايات المتحدة اليوم تقود العالم بلا منازع.

ويركز الكتاب على الزمان والمكان والمعرفة، ويصفها بأنها الأسس الثلاثة العميقة التي تتحكم بالثروة الثورية، ثم يشرح كلا منها بالتفصيل مبينا تطورها في التاريخ منذ العصر الزراعي (الموجة الأولى)، إلى العصر الصناعي (الموجة الثانية) وأخيرا اقتصاد المعرفة (الموجة الثالثة). ويعزو الكتاب الكثير من المشكلات الاقتصادية اليوم إلى فقدان عنصر بالغ الأهمية - وهو التزامن - بين مختلف عناصر صنع الثروة الثورية التي تشكل المحور الأساس للكتاب. ويقول الكتاب إن عصر الإنتاج بالجملة والألبسة الموحدة قد ولى، وإن عصر الإنتاج بحسب الطلب هو السائد الآن.

ويتناول الكتاب العديد من القضايا المهمة على الصعيد العالمي، مثل العولمة، والطاقة، والبطالة، والتعليم، والجريمة، والفقر، والبيروقراطية، والتطرف، والحركات التابعة للمنظمات غير الحكومية، وغيرها ويربطها جميعا بالموضوع الرئيس وهو صنع الثروة في القرن الحادي والعشرين بناء على الأسس العميقة: الزمان، والمكان، والمعرفة.

ويبين المؤلفان في غير موضع أن صنع الثروة الثورية في عصرنا الحاضر يعتمد بالدرجة الأولى على اقتصاد المعرفة بعد أن غابت شمس العصر الصناعي. فعصرنا الحاضر هو عصر القوة العقلية والمرونة في العمل، على النقيض من العصر الصناعي الذي كان عصر القوة العضلية والتشدد في مواعيد العمل. ويضرب المؤلفان أمثل عدة من الصين، والهند، ودول شرق آسيا التي فطنت إلى هذه الحقيقة الحيوية، على عكس الدول العربية التي لم تسلك سبيل اقتصاد المعرفة بعد، وما زالت تسعى وراء

الموجة الثانية، أي الاقتصاد الصناعي والمداخن العالية.

ويتضمن الكتاب مقارنة طريفة بين أوروبا وأمريكا، ويقول صراحة إن أوروبا الغربية متخلفة كثيرا عن أمريكا، وهي تسير الهوينى في حين أن أمريكا منطلقة بسرعة هائلة. فالقرار الذي يتخذ في أمريكا في يوم، يحتاج في أوروبا إلى سنة، وهكذا.

وبالإضافة إلى أوروبا، يناقش الكتاب بإسهاب الأوضاع الاقتصادية في الصين، والهند، واليابان ويبين النواحي السلبية والإيجابية في اقتصاديات كل من هذه البلدان، ويقول صراحة إن الصين وضعت قدمها على الطريق الصحيح للقرن الحادي والعشرين حين قررت الانضمام إلى اقتصاد السوق وتبني سياسة الانفتاح، وإن الهند تمارس الآن اقتصاد المعرفة بامتياز بعد أن بدأت تنتج البرمجيات وتصدرها إلى الولايات المتحدة.

ومن القضايا المهمة الأخرى التي يطرحها الكتاب قضية تصدير التصنيع، أي إنتاج السلع الأمريكية واليابانية خارج الولايات المتحدة واليابان، لاسيما في الصين، والهند، والمكسيك، ودول شرق آسيا مثل تايلاند، وماليزيا، وسنغافورة. ويقول إن هذا دليل قاطع على أن الولايات المتحدة لا تحتكر التقنية، بل تصدرها إلى بقية الدول خاصة الفقيرة منها. ويركز الكتاب في هذا المقام على الدور الإيجابي الذي لعبته الولايات المتحدة في نقل التقنية إلى أوروبا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية من خلال خطة مارشال والبرامج الأخرى.

ومن أهم القضايا التي يعالجها الكتاب قضية الفقر في العالم، ويعطي إحصاءات دقيقة من الأمم المتحدة، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي في هذا الخصوص، ويبين أن العالم أصبح اليوم أفضل حالا من ذي قبل، لكن نسبة كبيرة من سكان الأرض لا تزال تعيش تحت خط الفقر، أي على أقل من دولارين في اليوم، وما زالت محرومة من مياه الشرب النظيفة.

ويتطرق الكتاب إلى مشكلة الطاقة، ويلقي بظلال التشاؤم على مستقبل النفط في العالم وهو يتحدث عن البدائل المحتملة في المستقبل حين تنضب حقوله. ويقول: إن في العالم اليوم من العلماء والمهندسين والمفكرين ما يضمن العثور على البدائل المناسبة، وفي الوقت المناسب. ويعزو مشكلة ارتفاع أسعار الطاقة إلى دخول الصين والهند عصر الإنتاج بسرعة لم تكن متوقعة.

ومن القضايا المهمة الأخرى قضية الإرهاب الدولي، حيث يرد المؤلفان سبب انتشار الإرهاب إلى عوامل اقتصادية بحت، ويقولان: إن الاستثمار الحكيم للثروة في توجيه الشباب يمكن أن يحد من هذه الظاهرة وانتشارها.

وخلاصة القول، إن كتاب "الثروة واقتصاد المعرفة" من أهم الكتب التي قرأت، فهو موجه إلى شريحة واسعة من القراء المثقفين، ويفتح الأعين على حقائق طالما غابت عن الأذهان، ويبين لهم أهمية المعطيات، والمعلومات، والمعرفة" في اقتصاديات اليوم، كما يسهم بشكل إيجابي في التقارب بين الشعوب من خلال تبني سياسة اقتصادية واحدة تعتمد على المعرفة. من يقرأ الكتاب يدرك أن مشكلات العالم اليوم متقاربة، وأن حلها يتطلب التعاون بين الحكومات، والمنظمات، والأفراد.

وختاما أتوجه بجزيل الشكر إلى الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن العثمان مدير جامعة الملك سعود، والدكتور علي بن سعيد الغامدي وكيل الجامعة لشؤون الفروع، والدكتور محمود بن أحمد منشي مدير مركز الترجمة بالجامعة، وإلى السادة أعضاء المجلس العلمي، وكل من أسهم في طباعة هذه الترجمة وإخراجها.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

محمد زياد يحيى كبّة

كلمة شكر

كان لكثير من الأشخاص إسهام في إصدار هذا الكتاب وجعله محط تقدير. وبعكس الترتيب الممل لكلمات الشكر في المطبوعات الأدبية، دعونا نبدأ من عندنا، من المكان الذي خُطَّ فيه هذا الكتاب، والدخول أيضا إلى مكتبنا الموجود في الجوار.

نتقدم بشكرنا إلى ليندا باول، التي أشرفت، بمساعدة كارول سيمونز، على ملفاتنا البحثية التي لم تكف عن التوسع، والمصنفة بشكل أنيق إلى آلاف الفئات المفصلة. وقد عرفت ليندا لعقود مكان وجود الأشياء، وسبب تعطل الحواسب، وكيف تأخذنا في الرحلات الصحيحة بأقصر جهد، وكيف تتحدث بلطف مع الغرباء – وخاصة كيف تضحك بصوت مرتفع.

وفي هذه الفترة، اهتمت أليشيا جراشيا بمكاتبنا في المنزل، وكذلك الحال بالنسبة بمنزلنا، وأبقتها مرتبة، كما وقفت إلى جانبنا في أسوأ أيامنا عند إصابة ابنتي بمرضها القاتل. إنها تتحلى بالذكاء، واللطف، فضلاً عن أنها موثوقة.

وفي بلدنا وكذلك الأمر عند سفرنا حول العالم، التقينا كثيراً مع الأشخاص بأفكارهم الغنية وتعلمنا منهم، ونحن نكن لهم كل امتنان. منهم:

بول رومر، أستاذ في الدراسات الاقتصادية في مدرسة ستانفورد للدراسات العليا في الأعمال، الذي أعطى ساعات من وقته في أحد مطاعم *سيلكون فالي*

لمساعدتنا على فهم التأثيرات الاقتصادية الأساسية للاقتصاد المبني على المعرفة.

ـ وليم إيسترلي، مؤلف كتاب *السعي الوهمي نحو النمو*، منسق أعمال معهد بحوث التنمية في جامعة نيويورك، وسابقاً لدى البنك الدولي، على أفكاره عن دور المعرفة والحوافز في محاربة الفقر.

ـ خبيرا الاقتصاد المالي جلين ياغو وسوزان تريمباث من معهد ميلكن، حيث أمضينا معهما فترة ما بعد ظهيرة أحد الأيام لاستكشاف العلاقات غير الواضحة التي تربط الوقت مع المال.

ـ الأستاذ الفخري مايكل إنتريليجاتور، خبير في الإحصاء الاقتصادي في عصر النهضة لدى UCLA، والذي تراوحت اهتماماته من نمذجة مصادر الصحة والمياه إلى عدم الانتشار النووي وتحول روسيا من النظام الشيوعي إلى ما يشبه اقتصاد السوق.

ـ كما نخص بالشكر جيفري آيزنآخ، الذي شارك في رئاسة فريق من خمسين خبيراً اقتصادياً بصفته رئيساً لـ CapAnalysis، LLC، في واشنطن، والذي قدم الإسعافات الأولية عند شعوره بحاجتنا إليها، عبر رسائل البريد الإلكتروني في آخر الليل التي غيرت من آرائنا.

ـ كما نود أن نتذكر أيضاً الراحل إليا بريجونجين، الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء الفيزيائية، وأحد مؤسسي نظرية التعقيد، والذي عمقت محادثاته معنا من فهمنا للفوضى والترتيب اللذين يشكلان أساس الثروة.

إن محادثاتنا في المكسيك مع كارلوس سليم وأسرته وسعت من آفاق فهمنا ليس على صعيد الأعمال والاقتصاد في المكسيك وأمريكا اللاتينية فحسب، بل طالت مواضيع أوسع أيضاً. وخلال عشاء معه، كان من المحتمل للمرء أن يلتقي بالصدفة مع كارلوس فيونتيس وجابريل غراشيا ماركيز مثل احتمال لقائه مع بيل كلينتون وماجيك جونسون.

ونعرب عن امتناننا لـ نيوت جينجريتش، المتحدث السابق في مجلس النواب الأمريكي، الذي تحاورنا وتجادلنا معه، لتعلو صراخنا وضحكاتنا على مر السنين. ومهما كانت الاختلافات السياسية بيننا، لم نمض قط ولو ساعة واحدة معه دون أن نتعلم شيئاً جديداً. إنه العقل الرزين من حولنا، لاسيما عندما نختلف في الرأي.

وكذلك نحن مدينون بالشكر لـ لي كوان يو، مؤسس سينغافورة ورئيس وزرائها، الذي ساعد في إيقاظ آسيا برمتها على إمكاناتها الاقتصادية. وانطلاقاً من كونه رجل دولة كبير، ومفكر مخضرم، فقد شاركنا أفكاره عن مستقبل آسيا.

ونشكر ريتشارد دانزيغ، وزير البحرية الأمريكي سابقا، الذي طلب منا مرافقته إلى الصين لإجراء مناقشات مع رجال أعمال في شنغهاي ولقاء كبار ضباط البحرية في الصين.

أيضاً نشكر تشيري نورساليم وإنكي تان على معلوماتهما القيمة عن التغيرات الراهنة في آسيا، وكذلك لفتح القلوب الآسيوية لنا.

وممن يستحق الشكر كذلك الراحل سايلين وين من Inventec بتايوان، الذي حارب على تضييق الهوة الرقمية في الصين على طول الطريق من بكين إلى نهر الغنم الأصفر في أشد المناطق فقراً داخل البلد.

وأقرب إلى البيت، نشكر صديقينا بوب وبام فاينغارتن على كلامهم المباشر دون تردد، وعلى تصويبهم للأخطاء قبل أن تجد طريقها إلى النص، ونشكرهما كذلك على حماستهما وسنوات من التشجيع التي دونت خلالها هذه الفصول.

ونعرب عن عميق امتناننا لـ إمي وينر آلبورتون وسالي، حيث ناقشنا الكتاب معهما في أثناء إعداده، ونشكرهما على أفكارهما Friday-night بخصوص الإعلام، والثقافة الشعبية، والسياسات، والأهم من ذلك على بقائهم معنا دائما بما في ذلك أسوأ الأوقات.

كما أننا ممتنون لـ مات فونغ، أمين خزنة ولاية كاليفورنيا سابقاً، على الطعام الصيني والرؤى المتعلقة بالمالية العامة.

كذلك نعرب عن امتناننا لـ فيكتور وإيفا أوسياتنسكي. وفيكتور، إلى جانب كونه عالم دستوري جليل ومؤلف، هو أستاذ في القانون وعلم الاجتماع في الجامعة الأوروبية المركزية، ودرَّس في مدرسة القانون بجامعة شيكاغو. إيفا وفيكتور كلاهما قائدان دوليان في معركة ضد الإدمان على الكحول، حيث نظرا على الدوام في التأثيرات الاقتصادية في الإنتاجية، والجريمة، والتعرض للشرطة، والحياة الأسرية.

ونحن مدينون بالشكر أيضاً لمحررنا في نوبف، آش غرين، الذي يستحق جائزة نوبل على تحليه بالصبر، والذي ساعد في إبقاء الكتابة ضمن السياق عندما هددنا بالانحراف إلى وجهات غير ذات صلة.

ونشكر تيم نولتو، ودايف باربر، وغرايس ويلي، الأصدقاء القدامى في شركة كيرتيس براون المحدودة التي تمثل وكالتنا الأدبية لفترة طويلة، الذين سرنا التعامل معهم. لاشك أن الحظ كان حليفاً لكافة الكتاب بشكل كبير.

نقدم شكرنا أيضاً لـ بيل لاي، و ويس نيف، ولاري ليسون، وسائر الأشخاص الموجودين أو كانوا موجودين في مكتب لاي والذين أرسلونا في جولات محادثات حول العالم لعدد من المرات تكاد الذاكرة أن تخوننا إذا ما أردنا أن نحصيها. وهذا ما أعطانا فرصة للالتقاء ليس مع مفكرين ومنفذين يخلقون نظام الثروة الثوري فحسب، بل مع جمهور ذكي طارح للأسئلة وينتمي إلى كثير من الثقافات المختلفة. لقد ساعدت هذه الرحلات على إعطاء صبغة جديدة لحياتنا.

ونشكر ناثان غارديلز، محرر العمود الشهري في مجلتنا، الذي يتمتع بدماغ أكبر من رولوديكس الذي يعادل حجمه حجم جبل روشمور.

وأخيراً، نود أن نخص بالشكر زملاءنا في رابطة توفلر (TA). ونشكر توم جونسون، على نقده الذي لا يقدر بثمن للكتابات المتواصلة، وعلى حس الدعابة الذي يتحلى به، بغض النظر عن قيامه يومياً بالتأكد من التقدم الذي نحرزه وممارسة الضغط علينا بلطف واستمرارية بهدف الإسراع. إن توم، صديقنا الحميم منذ عقود، اشترك في تأسيس TA وهو شريك فيها، حيث لم يكن ليكتب لها الإبحار والاستمرار بدون فن الملاحة البارز الذي يتحلى به. ونحن مدينين بالشكر أيضاً لـ ديك زافرانسكي، الذي ساعد فضوله الفكري وبصيرته النافذة على الدوام في إطلاق شرارة أفكار جديدة. إننا ممتنون أيضاً لـ ديب ويستبال، الذي ساعد على نظام التوضع العالمي (GPS) والذي – إلى جانب مآثره الأخرى- أرشدنا حول كل شيء في هذا الكون. وممتنون كذلك لـ آرون شولمان، الذي يجمع ما بين القوة الذهنية السامية والأقدام الراسخة على الأرض. وليس آخراً نعرب عن امتناننا لـ جاي إينجلبريشت، الذي أطل منذ عقود خلت وبحوذته مجموعة من الأسئلة التي توسع الآفاق الذهنية ولم يتوقف عن ذلك حتى يومنا.

بالإضافة إلى من ذُكر، نشكر كافة الزملاء في TA الذين استجابوا إلى أسئلتنا بين الحين والآخر والذين قاموا بتنظيم حفلات العشاء في TA وشاركوا فيها، تلك الحفلات التي تحدثنا فيها، والأهم من ذلك، التي استمعنا خلالها لأناس من ذوي الذكاء المتقد. كل الشكر أيضاً للذكريات الجميلة لـ بوني أوغورمان، التي كان لوفاتها مؤخراً عميق الأثر في أنفسنا جميعاً.

لاشك أنه يوجد الكثير والكثير جداً ممن يصعب علينا إدراج أسمائهم هنا، لكننا نذكرهم بامتنان، والذين أسهموا لفترة تنوف على العقد ببيانات ومعلومات ومعرفة حملت الفائدة لنا، وإعطائنا الوقت، والإجابة عن رسائلنا عبر البريد

الإلكتروني، وعن مكالماتنا الهاتفية.

ونضيف إليهم الآلاف المجهولة الذين عملوا جميعاً على رفد ما نملك من صورة عن العالم المتغير – وهم مئات المؤلفين، والأكاديميين الذين شاركونا بأفكارهم عبر الشبكة، والمراسلين النشطين الذين كثيراً ما تضرروا، وبخس حقهم، وأغفل عملهم، الذين يعملون يومياً لتسليم أعمالهم خلال فترة قصيرة لتغطية أخبار الأعمال، وقضايا اقتصادية- سياسية وجوانب ذات صلة، إذ ضربوا على ألواح مفاتيحهم ما يعرف اليوم بـ "المسودة الأولى للتاريخ."

الكثير منهم ارتكب أخطاء عرضية، تماما كما نفعل في هذه الصفحات. بالتأكيد، إن كتاباً كهذا لايمكن أن يكون خالياً من الأخطاء ١٠٠٪. لسوء الحظ، لا يوجد من يمكن لنا أن نلومه غيرهم. أن الكليشية في كلمات الشكر هي بالتالي حقيقة: إن المؤلفين هم المسؤولون بشكل كامل عن كل كلمة يرتبط اسمهم بها. وعليه، فإن أي خطأ أو نقص هو بالتالي خطؤنا.

مقدمـــة المؤلفين

يستغرق تأليف جميع الكتب فترة من الزمن، وهي الفترة بين نشوء الفكرة في ذهن المؤلف وظهور الكتاب المطبوع. والكتاب حين يكون في طور التأليف، مثل الجنين في رحم الأم، يتأثر بالأحداث التي تترك بصماتها على الكاتب خلال فترة الحمل، حتى ولو كان الكتاب عن المستقبل، فإنه بكل تأكيد نتاج شريحته التاريخية.

كانت الشريحة التي استغرقها تأليف هذا الكتاب السنوات الإثنتي عشرة التي رافقت وصول القرن الحادي والعشرين، ولا أظن أن ثمة إنسانا واعيا في العالم قد غفل عن العناوين المهمة خلال تلك الفترة. فمجموعة دينية مجرمة غامضة تشن هجوما على قطارات الأنفاق في طوكيو، وعملية استنساخ النعجة دولي، وعزل بيل كلينتون، وفك الشفرة الوراثية البشرية، وعدم وقوع الهجوم الألفي المخيف على حاسباتنا، وانتشار الإيدز والسارز والأمراض الأخرى، وهجوم ١١ سبتمبر، والحرب في العراق، وإعصار التسونامي المريع الذي وقع عام ٢٠٠٤، ومن ثم إعصار كاترينا في عام ٢٠٠٠.

وقد ترافقت هذه الأخبار بدراما اقتصادية أيضا مثل الأزمة الآسيوية في ١٩٩٧- ١٩٩٨، وظهور "الدوت – كوم"، وانهيار البورصة وارتدادها. ووضع اليورو قيد التداول، وارتفاع أسعار النفط، وسلسلة الفضائح في كبرى الشركات، والعجز المقنع المالي والتجاري الأمريكي، وفوق هذا وذاك صعود نجم الصين.

ومع ذلك، ومع كل التقارير المطبوعة والمنشورة على الإنترنت وفي التلفاز وعلى هواتفنا المحمولة التي تنهال علينا في الأعمال والاقتصاد فإن أهم قصة على الإطلاق، وهي التحول التاريخي في الثروة، ضاعت ودفنت تحت ركام من الحقائق الأقل أهمية. فمهمتنا في هذه الصفحات هي سرد هذه القصة المفقودة.

فكما أن الثورة لا تنشأ فقط من الحقول والمصانع والمكاتب والآلات، فالثروة الثورية لا تحدث في المال فحسب.

لقد بات في قدرة الجميع إدراك أن الولايات المتحدة، وبلدانا كثيرة أخرى، تتحول إلى اقتصاديات المعرفة التي تحركها الأدمغة، مع أن الأثر الكامل لهذا التحول، سواء على الأفراد أو على الدول والقارات، لم يظهر حتى الآن، فنصف القرن الماضي لم يكن سوى توطئة.

لقد ازدادت أهمية المعرفة في خلق الثورة بشكل لا يقبل الجدل، وهي الآن على وشك أن تقفز إلى مستوى أعلى، وأن تعبر حدودا إضافية على اعتبار أن هناك عددا متزايدا من بلاد العالم في تواصل مع مصرف عالمي للمعرفة دائم النمو والتغير، يسهل الوصول إليه أكثر من ذي قبل. ونتيجة لهذا فإننا جميعا، أغنياء وفقراء، سنعيش ونعمل مع الثروة الثورية أو نتائجها.

لقد أصبحت *الثورة* كلمة يتقاذفها الناس بصورة عرضية هذه الأيام، حتى اقترنت بأنظمة الحمية الغذائية الجديدة، وبالانتفاضات السياسية على حد سواء مما أفقدها الكثير من معناها. لكننا في هذا الكتاب سنستعمل الكلمة بمعناها الواسع. فبالمقارنة مع حجم الثورة التي نواجهها الآن فإن هذا المصطلح لا ينطبق لا على انهيار البورصة، ولا تغير نظام الحكم في بلد ما، أو ظهور تقنيات جديدة، ولا حتى على الحروب وانقسام الأمم.

إن التغير الثوري الذي يشكل محور اهتمامنا في هذه الصفحات هو انتفاضة تشبه الثورة الصناعية، بل هي أبعد منها أثرا، حين اجتمعت آلاف التغيرات التي بدت منفصلة في ظاهرها لتشكل نظاما اقتصاديا جديدا رافقه أسلوب حياة جديد وحضارة جديدة تسمى الحداثة.

ولكي تكون الثورة ثورية حقا يجب أن يكون تحولها ليس في الكم فحسب ولكن بطريقة إيجادها، وتوزيعها، وتداولها، وإنفاقها، وادخارها، واستثمارها. وبالإضافة إلى ذلك، وكما سنبين لاحقا، فإنه لابد من تعديل درجة محسوسيتها أو عدم محسوسيتها. ولا يمكننا أن نسمي الثورة ثورية عن حق بدون هذه التغيرات.

واليوم، كما سنبين فيما بعد، فإن كل هذا يحدث بالفعل، وبسرعة غير مسبوقة، وعلى نطاق عالمي.

أما كلمة الثروة، وهي الكلمة الأخرى في عنوان الكتاب، فإنها لا تشير في هذه الصفحات إلى المال فحسب بالرغم من أننا جميعا نعيش في اقتصاد المال. فنحن نعيش أيضا في اقتصاد متواز ومثير وغامض إلى حد بعيد. ففي هذا الاقتصاد نحقق كثيرا من حاجاتنا دون مقابل. فاقتصاد المال واقتصاد(*اللامال*)، إذا اجتمعا سوية، شكّلا ما سندعوه في هذه الصفحات "بنظام الثروة".

ومن خلال إحداث ثورة متزامنة في هذين النوعين المتفاعلين من الاقتصاد فإننا نوجد نظام ثروة متين لا مثيل له في التاريخ.

ولكي نعرف معنى هذا علينا أن ندرك أنه ما من نظام ثروة يوجد في الفراغ. فنظام الثروة، على عظم قوته، ما هو إلا أحد المكونات من نظام أكبر وأشمل يتغذى بما تقدمه إليه مكوناته الأخرى الاجتماعية، والثقافية، والدينية، والسياسية، وما تقدمه هذه المكونات بعضها إلى بعض. وتشكل هذه المكونات مجتمعة حضارة أو

أسلوب حياة متوافقا مع نظام الثروة.

لذلك فإننا حين نتحدث هنا عن الثروة الثورية نفكر دائما بكل هذه الأنظمة الفرعية الأخرى. فإحداث ثورة في الثروة إذن، وهو ما نفعله الآن، معناه إدخال التغيير والمقاومة من المصالح المستثمرة في كل هذه، وفي كثير من مجالات الحياة الأخرى.

وتشكل هذه الأفكار الجوهرية أساس الثروة الثورية، فإذا ما تمكنا منها ساعدتنا على استيعاب التغيرات والصراعات المحيطة بنا والتي لا معنى لها في الظاهر.

صحيح أننا لسنا خبراء اقتصاديين محترفين، لكننا أمضينا الجزء الأعظم من حياتنا العملية في الكتابة عن الاقتصاد، والسياسة الاجتماعية، وإستراتيجية التطور، وقضايا الأعمال. كما ألقينا محاضرات في عدد كبير من الجامعات، وأدلينا بشهادات أمام اللجنة الاقتصادية المشتركة التابعة للكونجرس الأمريكي، واجتمعنا برؤساء الشركات في جميع أنحاء الأرض، وقدمنا المشورة إلى رؤساء الجمهوريات ورؤساء الوزراء حول الانتقال من الاقتصاد الصناعي إلى اقتصاد يقوم على أساس التقنيات العالية والمعرفة.

لكن الاقتصاد يحتاج إلى خلفية متأصلة في الحياة الواقعية أكثر من أي علم آخر. ففي حياتنا الواقعية ونحن في سن الشباب خمس سنوات لا ننسى عملنا خلالها في المصانع على آلات الثقب، وخطوط التجميع، وصناعة السيارات، ومحركات الطائرات، والمصابيح الكهربائية، والمحركات، والمنتجات الأخرى؛ كما زحفنا عبر قنوات التهوية في مصنع لصب الفولاذ، وثقبنا الصخور، وقمنا بأعمال عضلية أخرى؛ وتعلمنا عن الصناعة كما تشاهد من أسفل الهرم، كما ذقنا بالتجربة المباشرة مرارة البطالة.

حين نشر كتابنا الأول "*صدمة المستقبل Future Shock*" الذي يتناول التغيير

والمستقبل، وفر لنا توزيعه في مائة دولة فرصة غير عادية للتواصل وجها لوجه مع الناس في سائر مناحي الحياة منهم الأطفال في أحياء فنزويلا الفقيرة، وسكان القرى التعيسة في الأرجنتين والبرازيل، ومنهم الأثرياء في مكسيكو واليابان والهند وإندونيسيا، والمجرمات في سجن كاليفورنيا، ووزراء المال، ومديري المصارف المركزية، والفائزين بجائزة نوبل، ناهيك عن الملوك والملكات؛ وهؤلاء جميعا يمثلون أنواعا كثيرة من الشخصيات، وكل الديانات، وكل فكر سياسي، وكل درجات الجشع، أو الاهتمامات الاجتماعية، والمثالية، والنقد الساخر. هذه التجارب المتنوعة قدمت ظروف الحياة الواقعية لجميع الشؤون الاقتصادية المجردة.

وبالطبع، فإن أحدا لا يعرف المستقبل على وجه الدقة، وبالأخص متى سيحدث شيء معين. لذلك كان من الواجب أن ننظر إلى كلمة "*سوف*" كما في قولنا "*سوف يحدث*" على أنها تعني "*ربما سيحدث*" أو "*في رأينا سوف يحدث*". وهذا ما يوفر علينا تكرار هذه العبارات المتحفظة وإصابة القارئ بالملل.

ومن الجدير بالذكر أن للحقائق أعمارا أقصر هذه الأيام، وأن الناس يتحركون صعودا وهبوطا وبشكل دائري؛ فإذا كان شخص معين مرتبطا بشركة (أ) أو أستاذا في جامعة (ب) فربما يكون قد انتقل إلى (ج) وقت قراءة هذا الكتاب. وبالإضافة إلى هذا، يجب على القارئ ألا ينسى حقيقة ثابتة، وهي أن جميع التفسيرات ليست سوى تبسيط للأمور.

من المهم أن نعرف حقيقتين أخريين حول تأليف هذا الكتاب.

كان من الممكن أن تكون فترة السنوات الإثنتي عشرة التي أمضيناها في تأليف هذا الكتاب أطول لولا أن هيأ لنا القدر ستيف كريسنسن Steve Christensen ليساعدنا في الإسراع في العمل. وقد سألت ستيف ذات مرة حين أنهينا الكتاب إن كان يعرف

محررا جيدا. وكم كانت فرحتي عظيمة حين اقترح نفسه. فبوصفه صحفيا متمرسا، ومحررا سابقا للقسم الغربي في وكالة *يونايتد برس إنترناشونال* التي كانت من أكبر وكالات الأنباء في العالم، ومحررا ومديرا عاما لصحيفة *لوس أنجليس تايمز سنديكيت*، انضم ستيف إلينا منذ ثلاث سنوات فأثبت أنه محرر (بيتيّ) من الدرجة الأولى. والأهم من هذا أنه أحضر معه الانضباط، والتفكير السليم، والدفء، وسلامة الطوية، وروح الدعابة. وقد جعل إنهاء هذا الكتاب مليئا بالبهجة، وفي غضون ذلك نشأت صداقة بيننا.

وأخيرا وبسبب إصابة ابنتنا الوحيدة كارن بمرض عضال أودى بحياتها، وهذا استحوذ على اهتمامنا وأبطأ عملنا في هذا الكتاب، فقد أمضت هايدي سنوات طويلة في السهر على كارن وهي تصارع المرض، وبيروقراطيات المشافي، وجهل الأطباء فكانت إسهاماتها اليومية في هذا العمل متقطعة بالضرورة. ومع هذا فإن كثيرا من الافتراضات والأفكار والنماذج وراء الثروة الثورية جاءت نتيجة لأسفارنا معا، والمقابلات المشتركة، وحياتنا المليئة بالمناقشات والجدال المثير.

وكم مرة رفضت فيها هايدي أن يظهر اسمها على غلاف الكتب، ولم توافق إلا في عام ١٩٩٣ حين نشر كتاب "*الحرب وضدها War and Anti-War*"، ومرة أخرى في عام ١٩٩٥ حين نشر كتاب "*صنع حضارة جديدة Creating a New Civilization*". لكن على القراء أن ينظروا إلى جميع الكتب التي تحمل اسم توفلر على إنها نتاج حياتنا المشتركة المليئة بالحب.

ألفين توفلر

المحتويات

الصفحة

مقدمة الترجمة ..... هـ

كلمة شكر ..... ي

مقدمة المؤلفين..... ع

المحتويات ..... ت

الباب الأول: الثورة ١

الفصل الأول: طليعة الثروة ٣

الفصل الثاني: بنت الرغبة ١٩

الباب الثاني: الأسس العميقة ٢٣

الفصل الثالث: أمواج الثروة ٢٥

الفصل الرابع: الأسس العميقة ٣٣

الباب الثالث: تنظيم الوقت من جديد ٤١

الفصل الخامس: تصادم السرعات ٤٣

الفصل السادس: صناعة التزامن ٥٩

الفصل السابع: الاقتصاد المتذبذب ٦٧

الفصل الثامن: الزمن الجديد ٧٧
الباب الرابع: التوسع في المدى ٩٣
الفصل التاسع: الحلقة العظيمة ٩٥
الفصل العاشر: مواقع القيمة المضافة ٩٩
الفصل الحادي عشر: مدى التحرك ١١١
الفصل الثاني عشر: العالم غير المستعد ١١٩
الفصل الثالث عشر: عكس الحركة ١٢٩
الفصل الرابع عشر: التوجه نحو الفضاء ١٣٩
الباب الخامس: الوثوق بالمعرفة ١٤٩
الفصل الخامس عشر: حافة المعرفة ١٥١
الفصل السادس عشر: نفط الغد ١٥٩
الفصل السابع عشر: مصيدة المعرفة البالية ١٦٩
الفصل الثامن عشر: عامل كسني ١٧٥
الفصل التاسع عشر: تصفية الحقيقة ١٨٧
الفصل العشرون: إلغاء المعمل ١٩٩
الفصل الحادي والعشرون: المتلاعبون بالحقيقة ٢١٥
الفصل الثاني والعشرون: تعقيب: التلاقي ٢٢١
الباب السادس: الإنتهلاك ٢٣١
الفصل الثالث والعشرون: النصف الخفي ٢٣٣
الفصل الرابع والعشرون: منتهلكو الصحة ٢٤٧
الفصل الخامس والعشرون: عملنا الثالث ٢٦١

الفصل السادس والعشرون: الانفجار الإنتهلاكي ٢٦٧
الفصل السابع والعشرون: الغداء المجاني الإضافي ٢٧٩
الفصل الثامن والعشرون: عاصفة الموسيقى ٢٩١
الفصل التاسع والعشرون: هرمون الإنتاجية ٣٠٣
الفصل الثلاثون: قنوات مخفية ٣٠٩
الباب السابع: الانحلال ٣١٥
الفصل الحادي والثلاثون: كتاب التغيير ٣١٧
الفصل الثاني والثلاثون: الانفجار من الداخل ٣٢٧
الفصل الثالث والثلاثون: تآكل الأسلاك ٣٤١
الفصل الرابع والثلاثون: عالم التعقيد ٣٤٩
الفصل الخامس والثلاثون: حل سيبلفيدا ٣٥٧
الفصل السادس والثلاثون: تعقيب بعد الانحطاط ٣٧٣
الباب الثامن: مستقبل الرأسمالية ٣٨٩
الفصل السابع والثلاثون: لعبة نهاية الرأسمالية ٣٩١
الفصل الثامن والثلاثون: تحويل رأس المال ٤٠١
الفصل التاسع والثلاثون: الأسواق المستحيلة ٤١١
الفصل الأربعون: إدارة أموال الغد ٤٢٥
الباب التاسع: الفقر ٤٤٥
الفصل الحادي والأربعون: المستقبل القديم للفقر ٤٤٧
الفصل الثاني والأربعون: طريق مزدوج إلى الغد ٤٥٩
الفصل الثالث والأربعون: تحطيم لب الفقر ٤٧١

الباب العاشر: التكتونيات الجديدة ٤٩٣
الفصل الرابع والأربعون: مفاجأة الصين التالية ٤٩٥
الفصل الخامس والأربعون: حلقة الخيزران اليابانية التالية ٥١٧
الفصل السادس والأربعون: رسالة أوروبا الضائعة ٥٣٧
الفصل السابع والأربعون: داخل أمريكا ٥٥٣
الفصل الثامن والأربعون: خارج أمريكا ٥٦٧
الفصل التاسع والأربعون: لعبة الألعاب المخفية ٥٧٧
الفصل الخمسون: الخاتمة: المقدمة أصبحت من الماضي ٥٩٥
المراجع ٦١٥
الهوامش ٦٢٧
ثبت المصطلحات ٧٢٩
الكشاف ٧٥٣
نبذة عن المترجم ٧٦٢